

يثرّب مكان انطلاق الدعوة الإسلامية وانتشار نورها في ربوع الكون

الهجرة.. أعظم أحداث التاريخ ونقطة التحول في الدعوة للإسلام

■ تجلّت قدرة الله الجبار في حفظ نبيه من مكر

الكافرين بعد أن أجمعوا أمرهم على قتله

كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة، أعظم حدث حول مجرى التاريخ، وغير مسيرة الحياة ومناهجها التي كانت تحياها، وتعيش محكومة بها في صورة قوانين ونظم وأعراف، وعادات وأخلاق وسلوك للأفراد والجماعات، وعقائد وتعبّدات وعلم ومعرفة، وجهالة وسفه وضلال وعدى، وعدل ونظم.

وبعد أن ملئت قريش بالفشل في منع الصحابة -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقميحة، فقد أدركت قريش خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الدنوة للشاؤور في أمر القضاء على قائد الدعوة، وقد تحدث ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُبْدِلُوكَ بِكَ يَمْكُرُونَ بِكَ وَيُمْكَرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال:30] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأتيتوه بالوثائق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: إن أخرجوه، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وأخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا على رد الله كدهم، فقالوا ابن صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقفوا أثره فلما بلغوا الجبل أخلطت عليهم الأم، فصعدوا الجبل ففروا بالغار فرأوا على بابهم شجج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن شجج العنكبوت على بابهم، فمكث فيه ثلاثاً.

قال سيد قطب في تفسيره لأيات التي تتحدث عن مكر المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم: «إنه الذكر بما كان في مكة، قبل تغير الحال، وتبدل الموقف، وإنه ليوحى بالثقة واليقين في المستقبل، كما ينبهه إلى تدبير قدر الله وحكمته، فيما يقضي به ويامر، ولقد كان المسلمون الذين يخاطبون بهذا القرآن أول مرة، يعرفون الحالين معرفة الذي عاش وراى وذاق، وكان يقف أن يذكروا بهذا الماضي القريب، وما كان فيه من خوف وقلق، في مواجهة الحاضر الواقع وما فيه من أمن وضماننة، وما كان من تدبير المشركين ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، في مواجهة ما صار إليه من غلبة عليهم، لا مجرد النجاة منهم.

لقد كانوا يمتكرون ليوقفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبسوه حتى يموت، أو ليقتلوه ويتخلصوا منه، أو ليخرجوه من مكة منفياً مطروداً، ولقد ائتمروا بهذا كله ثم اختاروا قتله، على أن يتولى ذلك المكر قتلة من القبائل جميعا، لينفرد دمه في القبائل، ويعجز بنو هاشم عن قتل العرب كلها، فيرضوا بالدية وينتهي الأمر (ويمتكرون ويمنكر الله والله خير الماكرين).

إنها صورة ساذجة وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فإن هؤلاء

من فضائل المدينة المنورة

العصمة من الدجال والطاعون والبركة الدائمة

لقد عظم شرف المدينة المنورة المباركة بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، حتى فضلت على سائر بقاع الأرض حاشا مكة المكرمة، وفضائلها كثيرة منها:

1 - محبته صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤين لها:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه قائلا: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشده» وعن انس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر، فاقتصر إلى درجات المدينة، أوضح ناقته وإن كان على دابة حركها» قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير عن حميد «حركها من حبها».

2 - دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بضعفي ما في مكة من البركة:

فعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما

جعلت بمكة من البركة»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان

الناس إذا رأوا أول أتمر جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لنا في ثمرتنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليفك ونبيك وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاء لك، وإنسي ادعوك للمدينة يمثل ما دعاك لك ومنته معه» قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر.

3 - عصمتها من الدجال

والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم:

إن الله تعالى قبض لها ملائكة يحرسونها، فلا يستطيع الدجال إليها سبيلا، بل يلقي إليه بأخوانه من الكفار والمنافقين، كما أن من لوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة ورفع الوباء ألا

ينزل بها الطاعون، كما أخبر بذلك

العصوم صلى الله عليه وسلم.

4 - فضيلة الصبر على شدتها: فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على شدة المدينة وضيق عيشها بالشفاعة يوم القيامة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعيا أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها، وجهدا إلا كنت له شفيعا

5 - فضيلة الموت فيها: فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استأفح أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنني أشفع لمن يموت بها»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء:

(اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم).

وقد استجاب الله للفراروق رضي الله عنه فاستشهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم المسلمين في صلاة الفجر. 6 - هي كهف الإيمان وتلقي الخبث عنها: فالإيمان بلجا إليها مهما ضاقت به البلاد، والأخيات والأشوار لا مقام لهم فيها. 7 - حكمة الله بحفظها من كل قاصد إياها بسوء، وتودع النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثا، أو آوى فيها محدثا، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبإهلاك العاجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا أنماح، كما ينماع الله للبح في الماء»، وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم الله، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل، ولا صرف».)

9 - تحريمها:

وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبل يحينا ونحيا، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها»، يعني المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يختلي خللاها ولا يقر صديعا ولا تنقطع لقلتها إلا لمن أشار بها ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيرة ولا تحمل فيها السلاح لقتال».

إن هذه الفضائل العظيمة جعلت الصحابة يتعلقون بها، ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تجمعت طاقات الأمة فيها، ثم توجهت نحو القضاء على الشرك بأنواعه، والكفر بشكائه، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

«الصحة» قالت: فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين رحلتان قد كتبت أعدتهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بني الديل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، وكان مشركا يدلهما على الطريق، فدفعا إليه رحلتيهما فكلتاه عند بي عاهما ليعادهما.

قالت عائشة: فجهدناهما أحدث الجهاد، وصلحنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بخار في جبل ثور فمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام، شاب، لقف لقف، فبدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كمائت، فلا يسمح أحد يكادان به إلا وعاد حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يخطط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فريحيها عليها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل- وهو لن منحتهما ورضيفهما- حتى ينزع بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله

المدينة شرارها كما ينبغي الكير الحديث». 7 - تنقي الذنوب والأوزار: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها -أي المدينة- طيبة تنقي الذنوب، كما تنقي الثار خبث الفضة».

8 - حفظ الله إياها ممن يريدھا بسوء: فقد تكفل الله بحفظها من كل قاصد إياها بسوء، وتودع النبي صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثا، أو آوى فيها محدثا، أو أخاف أهلها، بلعنة الله وعذابه، وبإهلاك العاجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا أنماح، كما ينماع الله للبح في الماء»، وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة حرم الله، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل، ولا صرف».)

9 - تحريمها: فقد حرمها النبي صلى الله عليه وسلم بوحى من الله فلا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح، ولا يروح فيها إحد، ولا يقطع فيها شجر، ولا تحل لقطتها إلا لنشد، وغير ذلك ما يدخل في تحريمها قال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، حرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدحا وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام مكة».

وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبل يحينا ونحيا، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لابتيها»، يعني المدينة، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يختلي خللاها ولا يقر صديعا ولا تنقطع لقلتها إلا لمن أشار بها ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيرة ولا تحمل فيها السلاح لقتال».

إن هذه الفضائل العظيمة جعلت الصحابة يتعلقون بها، ويحرصون على الهجرة إليها، والمقام فيها، وبذلك تجمعت طاقات الأمة فيها، ثم توجهت نحو القضاء على الشرك بأنواعه، والكفر

■ لا سبيل لأحد إلى حصر جنود الله والوقوف

على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاَ

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي ماديا خريتا- والخزيت الماهر- بالهداية قد غنّس خلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كبار قريش، فأمناه فدفعنا إليه رحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال بر رحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل فأخذ بهم طريق السواحل».

الوصول إلى الغار

لم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر.

أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته وكان المبعاد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فخرجا من خوخة- لأيي بكر في ظهر بيته، وذلك للإمعان في الاستخفاء حتى لا تتبعهما قريش، وتتبعهما من تلك الرحلة للباركة، وقد اتعدا مع الليل على أن يلقاهما عبد الله بن أريقط في غار ثور بعد ثلاث ليال.

رقة النبي عند خروجه من مكة

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه بالحرّورة في سوق مكة، وقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أخرجت منك ما خرجت».

ثم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بطش المشركين، وصرّفهم عنهم.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس: (إن المشركين اقتفوا الأثر حتى إذا بلغوا الجبل جبل ثور أخلطت عليهم، فصعدوا الجبل ففروا بالغار، فرأوا على بابهم شجج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا أحد لم يكن شجج العنكبوت على بابهم) وهذه من جنود الله عز وجل التي يخذل بها الباطل، وينصر به الحق؛ لأنه جنود الله جلّت قدرته أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتتمثل في ضخامتها فقد تفككت جرتومة لا تراها العين بجيش ذي لجب، قال تعالى: «وَمَا يَغْلُظْ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذُرِّيٌّ لِلنَّاسِ» [القدر: 31]. أي وما يعلم جنود ربك لغرط كثرتها إلا هو، فجنود الله غير متناهية؛ لأن مقهوراته غير متناهية، كما أنه لا سبيل لأحد إلى حصر المكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاَ فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبية.

الموقع الإستراتيجي وصلة القرابة مع النبي وعزة الأوس والخزرج أهم الأسباب

لماذا اختيرت المدينة عاصمة للدولة الإسلامية؟

قبيلة أو حكومة إتادة أو جبابة، يقول ابن خلدون؛ ولم يزل هذان الحيان قد فلبوا على يرب، وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك، ويدخل في ملتهم من جاورهم من قبائل مضر.

وكان بنو عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، قام عبدالمطلب بن هاشم أحد لقبوا على يرب، وكان تزوج هاشم بسلمي بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وولدت لهاشم عبدالمطلب، وتره هاشم عندها، حتى صار غلاما دون المرافقة، ثم احتلمه عنه المطلب، فجاء به إلى مكة، وكانت الأرحام يحسب لها حساب كبير في حياة العرب الاجتماعية، ومنهم أبو أيوب الأنصاري الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره في المدينة.

وكان الأوس والخزرج من لقطان، والمهاجرون ومن سبق إلى الإسلام في مكة وما حولها من عدنان، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقام الأنصار بضمير، اجتمعت بذلك عدنان والقطان تحت لواء الإسلام، وكانوا كجسد واحد، وكانت بينهما مفاصلة وبسبيلة في الجاهلية، وبذلك لم يجد البشطان سبيلا إلى قولهم لإثارة الفتنة والتعزّي بغزاء الجاهلية، باسم الحمية المحطانية أو العدنانية، فكانت لكل ذلك مدينة يرب أصلح مكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتخاذهم لها دارا وفرارا، حتى يلقى الإسلام ويشق طريقه إلى الأمم، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم للمؤمن.

كيفية إعداد المؤمنين لمغادرة الأرض والأهل والأموال من أجل العقيدة

- تناول القرآن المكي الفتوية بالهجرة، ولجّ النظر إلى أن أرض الله واسعة، قال تعالى: «فل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أخذتموا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة أنما يؤلف الضالّون أجركم بغير حساب».

ثم تلا ذلك نزول سورة الكهف، وتحدثت عن الفتية الذين آمنوا بربهم وعن هجرتهم من بلدهم إلى الكهف، وهكذا استقرت صورة من صور الإيمان في نفوس الصحابة وهي ترك أهلها ووطنها من أجل عقيدتها. ثم تلا ذلك آيات صريحة تتحدث عن الهجرة في سورة النحل. قال تعالى: «والذين هاجروا في الله من بعد ما فلقوا لبؤنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» [النحل: 41،42].

إن الهجرة إلى المدينة سبيلها تمهيد وإعداد وتخطيط من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بتقدير الله تعالى وتدبيره، وكان هذا الإعداد في أجيالهم، إعداد في شخصية المهاجرين، وإعداد في المكان المهاجر إليه.

لم تكن الهجرة نزّهة أو رحلة يروح فيها الإنسان عن نفسه، ولقنها تعني مغادرة الأرض والأهل، ووشائج الغريب، وصلات الصداقة والمودة، وأسباب الرزق، والتخلى عن كل ذلك من أجل العقيدة، ولهذا احتاجت إلى جهد كبير حتى وصل المهاجرون إلى قناعة كاملة بهذه الهجرة ومن تلك الوسائل:

- التربية الإيمانية العميقة التي تحدّثنا عنها في الصلحات الماضية.

- الاضطهاد الذي أصاب المؤمنين حتى وصلوا إلى قناعة كاملة بعدم إمكانية المعاشية مع الكفر.